أياس

الأشخاص

أياس .

أتينا .

أوديسيوس .

تكروس أخو أياس .

تكمسا زوج أياس .

مينيلاووس .

أجاممنون .

رسول .

الجوقة تتألف من أهل سلامين .

تقع القصة فى معسكر اليونان بإزاء طروادة أمام خيمة أياس .

أياس

كان أياس بن تيلامون ملك سلامين بطلا من أبطال اليونان أمام طروادة . حارب فأحسن البلاء ، وظهر على الطرواديين فى مشاهد عظيمة ، وحمى اليونانيين جميعاً بعد أن انهزم زعماؤهم وأبطالهم ؛ فما زال يدافع عنهم حتى أقبل أخيل فردّ أعداءهم منهزمين . فلما كان مقتل أخيل جعل اليونان سلاحه جائزة لأعظم أبطالهم شأناً ، وأجلهم خطراً ؛ ففاز بها أوديسيوس ، وغضب لذلك أياس فذهب عقله ، وأنحى بسيفه على ما كان فى حظائر اليونان من ماشية ؛ فلما عاد إليه صوابه استخزى لما فعل فقتل نفسه .

المنظر الأول

فضاء الريف المتسع عن شمال ، وخيمة أياس في الوسط ، وخيام أخرى منسقة عن يمين . أوديسيوس مطوّفا يدرس آثار الخطى في الرمل والإلهة أتينا ترقبه من علٍ بحيث لا يراها . وذلك في مطلع الصبح .

أتينا — ما زلت أراك يا ابن لايرتيس متربصاً كالصائد تنتهز الفرصة لتبلو أعداءك ، وهأنا ذى اليوم أراك على ساحل البحر قريباً من خيام أياس حيث اتخذ مقامه فى آخر المعسكر ؛ تبحث منذ وقت طويل تقيس الآثار التى لم تتغير بعد ، والتى تركتها خطاه ، تريد أن تعلم أهو فى خيمته أم هو بعيد عنها . لقد أشرفت على غايتك ، إن كلاب الصيد فى أسبرتا ليست أبرع منك فى تقصى آثار الفريسة . لقد آوى أياس إلى خيمته يتصبب جبينه عرقاً وتقطر يداه دما . لست فى حاجة إلى أن تختلس النظر متحفظًا من وراء هذا الباب . ولكن أنبئنى فيم تكلف نفسك هذا الجهد ، فإنى حين أعرف ذلك أستطيع أن أعلمك ما تريد علمه .

أوديسيوس — صوت أتينا أكرم الآلهة علىّ ، إنك تستخفين،

ولكنى أعرف صوتك لأن جرسه يرنّ فى قلبى كأنه جرس الأبواق النحاسية التى تتخذ فى تيرانيا[١] . الآن قلت الحق ، إنما أراقب عدواً ، أراقب أياس ذا الترس المعروف[٢] . هو وحده ، هو ليس غيره الذى أتتبعه منذ وقت طويل . لقد اقترف هذه الليلة فى ذاتنا إثما لا يكاد يصدق إن كان هو الذى اقترفه . فإننا لا نعلم شيئاً على سبيل الجزم ، فنحن نهيم شاكين . وقد أخذت نفسى بتجلية هذا الأمر والكشف عن وجه الحق فيه . لقد رأينا منذ لحظة جميع ماشيتنا وقد نزل بها البوار . نحرتها يد رجل وذبحت معها حرّاسها . وقد زعم لى من رآه وحده يعدو فى السهل وفى يده سيف يبله دم رطب ، وقد أنبأنى هذا الشاهد بأنباء مفصّلة ؛ فأسرعت فى أثره وقد حققت بعض العلامات ، ولكن علامات أخرى تركتنى حائراً . لقد جئت فى وقت الحاجة إليك أيتها الإلهة . إن يدك هى التى تهدينى فى كل شىء وفى كل وقت .

---

(١) إقليم إيطالى . (٢) كان أياس مشهوراً بين أبطال اليونان بترسه الهائل الذى يشبه البرج .

أتينا — قد كنت أعلم كل شىء يا أوديسيوس ، وأنا أتبع خطواتك منذ وقت طويل حفيظةً على تتبعك .

أوديسيوس — مولاتى العزيزة ، أترين أنى موفق فيما أبذل من جهد ؟

أتينا — نعم ، كل هذا عمل أياس .

أوديسيوس — ولم أقدم على هذا الجنون ؟

أتينا — أثاره أمر سلاح أخيل .

أوديسيوس — لم أنحى هكذا على الماشية ؟

أتينا — كان يظن وهو يبيدها أنه يصبغ يديه بدمائكم .

أوديسيوس — أكان حقا قد دبّر فى نفسه الاعتداء على اليونان ؟

أتينا — وكان خليقا أن يتم عدوانه عليهم لو أنى خلّيت بينه و بين ما أراد .

أوديسيوس — كيف انتهى إلى هذه الجراءة البالغة ؟

أتينا — لقد دفعه المكر أثناء الليل وحيداً إلى الإيقاع بكم .

أوديسيوس — أوصل إلينا ؟ أبلغ غايته ؟

أتينا — بل انتهى إلى باب القائدين .

أوديسيوس — وكيف وقف ذراعه المندفعة إلى سفك الدماء ؟

أتينا — أنا التى حرمته هذا الفرح الأثيم حين خيلت لعينيه صوراً مضللة ، ودفعته إلى هذه الماشية التى غنمتموها من العدو ولم تقتسموها بعد ، والتى كان يحرسها الرعاة مختلطةً ؛ فانحى عليها وأوقع مذبحة بهذه الحيوانات ذات القرون من حوله . كان يقصم ظهورها ، وكان يرى أنه يقتل بيده مرة الأتريين[1] ومرة زعيما آخر من زعماء اليونان . أجل ! هـذا الرجل الذى أضله الجنون أنا التى كنت أثيره وأدفعه إلى شباك مهلكة ، فلما أتم مهمته ورفع رأسه قرن ما بقى حيًا من قطعان البقر والغنم وساقها إلى خيمته . وكان يرى أنها رجال لا حيوانات ذات قرون . وهو الآن فى خيمته يمزقها تمزيقاً ، وسأظهرك على جنونه البيّن ؛ فإذا رأيت ذلك قصصته على اليونان جميعاً . لا تخف ، أقم لا تخش شرا من هذا الرجل ، سأحول عينيه فلا يرى

(١) أجاممنون ومينلاووس .

مكانك . وأنت ، هذا الذى يشدّ وثاق أسراه ، أقبل إنى أدعوك ، إنما أتحدث إلى أياس ، أبرز أمام خيمتك .

أوديسيوس — ماذا تصنعين يا أتينا ؟ لا تطلبى إليه البروز .

أتينا — ألا تلتزم الصمت ! لا تخف .

أوديسيوس — لا يخرج بحق الآلهة ، حسبه أن يبقى فى خيمته .

أتينا — ماذا تخشى ؟ ألم يكن قبل ذلك رجلا ؟

أوديسيوس — نعم ، وكان عدوى كما هو الآن .

أتينا — وأى شىء أحبّ إلى النفس من أن يضحك الرجل من عدوه ؟

أوديسيوس — حسبى أن يبقى فى خيمته .

أتينا — تخشى أن ترى أمامك رجلا يهذى ؟

أوديسيوس — لو كان عاقلا لما تجنبته .

أتينا — ولكنه الآن لن يراك ولو كنت قريباً منه .

أوديسيوس — كيف يكون ذلك ، وما زال يرى بعينيه ؟

أتينا — وستظلان مفتوحتين ، ولكنى سألقى عليهما غشاوة .

أوديسيوس — تستطيعين ذلك ، إن الآلهة يعرفون كل أنواع الكيد .

أتينا — الصمت إذن ، لا تتحرك ، أقم كما أنت .

أوديسيوس — طوعا ، ولكن كم أود لو كنت بعيداً !

أتينا — وأنت يا أياس ! إنى أدعوك للمرة الثانية . أهذا كل إكبارك لحليفتك ؟

[يخرج أياس فى أشد أطوار الجنون وفى يده سوط يقطر دما] .

أياس — لك التحية يا أتينا ، لك التحية يا ابنة زوس ، لقد جئت وقت الحاجة إليك . سأتوجك ببعض الذهب الذى غنمته اعترافا بما لك علىّ من يد ، فأنا مدين لك بكل هذه الغنائم .

أتينا — ما أحسن هـذا القول ! ولكن أنبئنى أغمست سيفك فى دم جند اليونان ؟

أياس — أستطيع أن أفخر بذلك ، فليس شىء أدنى منه إلى الصدق .

أتينا — أرفعت قبضتك فى وجه الأتريين ؟

أياس — أنا متحقق أنهما لن يسوءا أياس بعد اليوم .

أتينا — لقد قضيا إن كنت قد فهمت عنك ؟

أياس — لقد ماتا فليأتيا لينزعا سلاحى .

أتينا — حسن،وابن لايرتيس ماذا هيّأت له ؟ أأفلت منك؟

أياس — تسأليننى عن هذا الثعلب الماكر أين هو ؟

أتينا — نعم ، إنما أتحدث عن أوديسيوس خصمك .

أياس — أحبب إلىّ يا مولاتى بأن أراه أسيراً قد حبس من وراء هذا الباب ، لا أريد أن يموت الآن .

أتينا — ماذا تريد أن تصنع به قبل موته ؟ أى منفعة تريد أن تحصل ؟

أياس — أريد أنه ، وقد شدّ إلى عمود من أعمدة الفناء ..

أتينا — أى ضرٍّ تريد أن تحدث بهذا الشقى ؟

أياس — يدمى سوطى ظهره قبل أن يموت .

أتينا — لا تعذب هذا التعس .

أياس — سلينى ما شئت يا أتينا ، أما هو فلابد من أن يتلقى هذا العذاب .

أتينا — ما دام يلذك أن تسير هذه السيرة فاضرب إذن ،

أنفذ كل ما دبّرت ، لا تستثنى منه شيئاً .

أياس — سأتم ما دبرت ، أما أنت يا أتينا فأقيمى على حلفك لى كما صنعت اليوم .

[يدخل إلى خيمته]

أتينا — أترى يا أوديسيوس إلى قوة الآلهة كم هى عظيمة ! أى رجل يمكنه أن يكون أعقل منه ، وأشجع منه إذا جدّ الجد ؟

أوديسيوس — لا أعرف أحداً يعدله عقلا و بأساً . و إنى لأرثى له و إن كان عدوى ، فقد اتصل أمره بقضاء محزن ، و إنى لأفكر فى مصيرى كما أفكر فى مصيره ، و إنى لأرى أننا جميعاً ماحيينا لسنا إلاّ أشباحا ، إلاّ ظلالا كاذبة .

أتينا — تعلم من هذا المنظر ألاّ تكابر الآلهة ، ولا تكاثرهم ولا تنطق فى ذاتهم بكلمة غرور ، وألا يخدعك تفوقك على نظرائك فى القوة أو الثروة ، فإن يوماً واحداً يضع الناس و يرفعهم ، والآلهة يحبون القصد و يكرهون الفجور .

[تستخفى أتينا ويذهب أوديسيوس وتدخل الجوقة إلى الملعب من يمين]

رئيس الجوقة — يا ابن تليمون ساكن سلامين التى تحيط بها أمواج البحر ، إنى لفرح حين أراك سعيداً . ولكنى شديد

الخوف عظيم الفزع إذا قصد إليك زوس بالسوء ، أو أهانك اليونان بألسنتهم الحادة ، مثلى فى ذلك مثل العصفور الفزع الذى يهرب فى الجو لايلوى على شىء . وكذلك امتلأت آذاننا حول هذه الليلة المنقضية بلغط عظيم ، بلغط سىء . يقال إنك ذهبت إلى المرج الذى ترتع فيه الخيل ، فأفنيت قطعان اليونان ، ومابقى من الماشية التى غنموها مزقتها بسيفك الملتهب .

هذه هى القصة التى يهمس بها الناس ، والتى يتخيلها أوديسيوس ويلقيها فى آذان اليونان جميعاً ، ولا يجد مشقة فى إقناعهم بها . والناس يقبلون الآن هذا الحديث فى يسر ، يجد سامعه فى الشماتة بك والابتهاج بشقائك من الغبطة أكثر مما يجد ناقله . إنما يبلغ الكائدون أغراضهم إذا مكروا بكبار النفوس . لو أن هذا الحديث أذيع عنى لما صدّقه أحد ، إنما يدب الحسد إلى الأغنياء ؛ ومع ذلك فإن صغار الناس إذا فقدوا سادتهم لايحسنون الدفاع عن الأسوار ، فإذا وجدوهم استقرّ التوازن بين الضعفاء والأقوياء ، وبين أعظم الناس خطراً وأهونهم شأناً . ولكن هذه الحكمة لا تغنى ، ولا تبلغ من

نفوس السفهاء ما دمت بعيداً . هؤلاء أعداؤك يلغطون بإهانتك والنيل منك ، ونحن قاصرون عن ردهم إلى أطوارهم ، عاجزون عن حمايتك من ألسنتهم ، لأنك لست بيننا أيها السيد المظيم . لقد أفلتوا من لحظك فهم يتصايحون كأنهم صغار الطير فرّت أمام الصقر العظيم ، ولو قد برزت لهم لما أبطأوا فى الاستخفاء والاستخذاء والتزام الصمت العميق .

الجوقة [فى قوة] — ما مصدر هذا اللغط العظيم الذى أنتج لنا الخزى ؟ أهى أرتيمس[1] ابنة زوس قد أرادت أن تنتقم منك لأنك لم تقرب إليها نصيبها مما ظفرت به من الصيد ، ولم تهد إليها ما كان ينبغى من آيات هذا النصر ، فدفعتك إلى قطعان اليونان تفعل بها الأفاعيل ؟ أم هو أرس[2] ذو الدرع النحاسية ، قد ساءه تقصيرك فى ذاته بعد ما أعانك فى الحرب ، فهو ينتقم منك بإيقاعك فى هذا الشرك الذى وقعت فيه هذه الليلة ؟ .

فلو قد خلّى بينك و بين عقلك لما اندفعت مختاراً فى هذه الحدة وبهذا العنف إلى هذه القطعان ، إنما سلط عليك الآلهة

(١) آلهة الصيد . (٢) إله الحرب .

طائفاً من جنون . فليسمع لنا زوس ، وليسمع لنا أبولون ، وليحوّلا عنك إهانة اليونان . ولكن إذا كان هذا الحديث كذباً يذيعه الملك الأعظم[١] ، ويشيعه هذا الرجل الدنيء من سلالة سيزوبوس[٢] فلا تسكت على هذا الكيد ، ولا تعرض نفسك لهذه المقالة السيئة بالاحتجاب فى خيمتك على ساحل البحر .

[فى بطء]

بل على العكس من ذلك قم واخرج من منزلك الذى أطلت فيه المقام منغمساً فى راحة مضطربة ، فتركت هذا الحديث يعظم وينمو كأنه اللهب قد ارتفع حتى بلغ السماء . وكذلك ينتشر فى الأودية ماضياً مع الهواء فى غير خوف ولا حياء كيد أعدائك لك ومكرهم بك . إن اليونان جميعاً يضحكون فى قوة وعنف ساخرين منك عابثين بك والألم يملأ نفسى .

[تدخل تكمسا]

تكمسا — أى حماة سفينة أياس ، أى سلالة أسرة أركتيوس ! ما أجدرنا بالأنين نحن الذين يملأ قلوبهم الحب لهذا البيت البعيد ، بيت تلمون . إن أياس الهائل ذلك البطل العظيم ذا الكتفين

---

(١) أجاممنون .   (٢) أوديسيوس .

القويتين ملقًى على الأرض الآن ، قد صرعته عاصفة أفسدت عليه عقله .

رئيس الجوقة — أى ثقل ثقيل ألمّ به الليلة فأذهب هدوء نفسه واعتدال مزاجه ؟ أنبئينا يا ابنـة تلوتاس الفريجى فأنت أسيرته ، و إن أياس العنيف ليشرفك بحبه ، فلن يكون حديثك عنه حديث الجاهلة .

تكمسا — كيف أحدثك بما لا سـبيل إلى وصفه ؟ إن الألم الذى ستعرفه ليعـدل الموت . لقد جنّ سيدنا أياس العظيم فجلب لنفسه العار هذه الليلة . لو ترى داخل خيمته هذه الضحايا التى نحرت بيده والتى تسبح فى دمها والتى قدّمها إلى الآلهة !

الجوقة [فى عنف] — بأى نبأ تنطقين عن هـذا البطل الجرىء ؟ نبأ لا يطاق ، ولـكنه نبأ لا يكذّب . إن رؤساء اليونان ليذيعونه ، و إن اللغط المتزايد لينميه . ما أشدّ خوفى مما سيحدث ! سيموت سيدنا لأن يده الطائشة قد نحرت بسيفه الدامى قطعان اليونان ورعاتها فى غير تفريق ولا تمييز .

تكمسا — واحسرتاه ! من هناك ، نعم من هناك أقبل علينا

يقود قطيعاً أسيراً . وكان ينحر داخل خيمته بعض هذا القطيع ، وكان يمزق بعضه الآخر ، وكان يشطر بعضه شطرين . ثم عمد إلى كبشين قوائمهما بيض : فأمّا أحدهما فقد احتز رأسه ، وقطع طرف لسانه ورماه بعيداً ، وأمّا الآخر فقد شدّه إلى عمود ، ثم أهوى إلى سوطه وجعل يضرب به ، وللسوط صفير وهو يهينه بألفاظ قبيحة لم يتعلمها من الناس ، وإنما ألقاها فى روعه بعض الآلهة .

الجوقة — لقد آن لنا أن نستر وجوهنا وأن نمعن فى الهرب مستخفين ، أو أن نتخذ مجالسنا من السفينة ونمضى فى البحر حتى نبلغ مأمننا . ما أعنف النذير الذى يرسله الملك وأخوه فى أثرنا ! إنى لأخشى أن أموت معه رجماً بالحجارة ، فإن العارض الذى ألمّ به يجعل الدنو منه خطراً .

تكمسا — لقد مرّ هـذا الطائف مرّاً سريعاً كأنه الريح لا يصحبها البرق الخاطف . لقد ثاب الآن إلى رشده ، ولـكنه يشقى بألم جديد ، فإن مشاهدة الإنسان للشر الذى يقترفه وحده دون أن يشاركه أحد فى اقترافه تزيد الألم وتضاعف الشقاء .

رئيس الجوقة — ولكن إذا أدركه الهدوء فقد تستقيم الأمور له فيما أرى . فإن الشر إذا بعد قلّ التفكير فيه .

تكسا — أيهما أحبّ إليك إذا خيرت : أن تسعد وحدك ويشقى أصدقاؤك ، أم أن تشاطرهم ما هم فيه من شقاء ؟

رئيس الجوقة — إذا تعدد الأشقياء يا امرأة كان الشقاء أعظم .

تكسا — لقد انقضى الألم ، ولكننا ما نزال نشقى به .

رئيس الجوقة — كيف تقولين ؟ لا أفهم عنك شيئاً .

تكسا — لقد كان أياس يألم وحده أثناء جنونه ، وكنا نحن العقلاء نشقى بالنظر إليه ؛ فأما الآن وقد ثاب إلى نفسه وانجاب عنه الألم فإنه يضطرب أشدّ الاضطراب ليأس شنيع ، ونحن مثله لم ينقص ألمنا عما كان عليه ، ألسنا نجد ألمين مكان ألم واحد ؟

رئيس الجوقة — إني أرى رأيك وأخشى أن يرسل الآلهة إلينا بعض المكروه . وكيف السبيل إلى غير ذلك ، وهو بعد أن عاد إلى الهدوء ليس أسعد منه حين كان مضطرباً ؟

تكمسا — هذه هى حاله ، ويجب أن تكون بها عليما .

رئيس الجوقة — كيف ألمّ به هذا العارض ؟ قصّى علينا آلامك فإنا نشاركك فيها .

تكمسا — ستعرف كل ما كان ، فإن مصيرك ومصيره واحد . حين تقدم الليل وأمعن فى الظلمة وخبت نار المساء ، أخذ سيفه ذا الحدين وتهيأ للخروج بغير سبب . فألومه فى ذلك وأقول له : « ماذا تصنع يا أياس ؟ لم يدعك أحد ، ولم ينته إليك رسول ، ولم يسمع نذير الأبواق ، والجيش كله نائم الآن . » فأجابنى بهذه الكلمات التى تعاد علينا دائما « أيتها المرأة إن الصمت حلية النساء » . ففهمت ولجأت إلى الصمت واندفع وحده . وأما ما عمل خارج الخيمة فلا أستطيع أن أصفه ، ولكنه حين عاد كان يقود معه فى قرن واحد ثيرة وكلابا وغنيمة عظيمة من الماشية ذات القرون . وكان يضرب أقفية بعضها ، ويرفع فى الهواء رؤوس بعضها الآخر ينحرها ، ويقصم ظهورها . كل هذه الكائنات المثقلة بالأغلال كان يعمل فيها السيف كأنها الرجال وما كان ينحى إلا على الماشية . ثم اندفع

آخر الأمر من باب الخيمة وجعل يتحدث إلى ظل لا أعرفه في صوت تملؤه الكبرياء ، يهين الأتريين مرة وأودسيوس مرة أخرى ، و يفصل ذلك بقهقهة عالية ، وكان يصوِّر ما أدرك عندهم من الثأر . ثم عاد بعد ذلك إلى مستقره وثاب إليه عقله قليلا قليلا . يرى خيمته قد ملئت بالأشلاء فيضرب رأسه و يبعث صيحة عالية ، ثم يجلس بين هـذه الأجزاء الهامدة للحملان المذبوحة وقد أدركه الهمود ، و إذا هو ينتف شعره ملء يديه . وقد لبث صامتاً وقتاً طو يلا ، ثم أنذرنى أعنف النذير إن لم أقصّ عليه تفصيل ما كان ، يريد أن يعرف ماذا ألمّ به . وأنا أيها الأصدقاء ، وقد ملكنى الخوف ، أقص عليه كل ما عمل أو على الأقل كل ما كنت أعرف . هنالك بعث أنات مهلكة لم أسمع مثلها منه قط . فقد كان يرى أن الشكوى لا تليق إلا بالجبناء والضعفاء . ولم يكن يبعث الصيحات عالية و إنما كان يجمجم بالشكوى كأنه ثور يخور . والآن وقد أثقلته الكارثة فإن أياس دون أن يأكل أو يشرب ملقى بين هذه الحيوانات المصرعة . إنه ليدبر أمراً خطيراً تنبىء به كلماته وأناته . هلم أيها

الأصدقاء ؛ إن العقل هو الذى جاء بى إليكم ، أدخلوا وأعينوه إن استطعتم فإن أمثاله لا يذعنون إلا لدعاء رفاقهم .

رئيس الجوقة — إى تكمسا إنها لقصة هائلة يا ابنة تلوتاس هذه التى تقصين علينا ؛ إن الألم قد دفع سيدنا إلى الجنون .

أياس [من داخل الخيمة] — ما أشقانى ! ما أشقانى !

تكمسا — إن الأمور توشك أن تسرع إلى الفساد ؛ ألم تسمعوا أياس ؟ أى صيحة هذه التى أرسلها !

أياس — ما أشقانى ! ما أشقانى !

رئيس الجوقة — كأن سيدنا يهذى ، أو كأنه يندم على ما قدّم بين يديه منذ حين .

أياس — آه واولداه ، واولداه !

تكمسا — واشقوتاه أور يزاسيس[1] إنه يدعوك أين أنت ؛ ما أشدّ ما أجد من الألم !

أياس — تكروس[2] ! أين تكروس ؟ إنى أدعوه ! أينفق وقته كله فى جمع الغنائم بينما أهلك أنا ؟

(١) ابن أياس من تكمسا . (٢) أخو أياس لأبيه .

رئيس الجوقة — كأن سيدنا قد ثاب إليه عقله . افتحى إذن ، لعله إذا رآنى ملك نفسه .

تكمسا — انظر ، سأفتح الباب ، وتستطيع أن ترى أمامك ماذا صنع و إلى أى حال صار .

[يدار اللولب ويظهر أياس ملق بين جثث الماشية المكدسة وما زال يهذى]

أياس [مضطربا] — أيها البحارة ، أنتم وحدكم من أصدقائى قد أقمتم على المودة والوفاء لى . انظروا إلى هذا الموج تثيره عاصفة دامية ، فهو يضطرب عن يمينى وعن شمالى ومن حولى .

رئيس الجوقة لتكمسا — إنى لا أراه جيداً ؛ لم تقولى إلا حقا . هذا الدليل على أن عقله مريض .

أياس — أيها الجند الذى يعيننى على تحريك سفنى : أنت الذى أبحر معى وأدار المجاذيف ، أنت . . . أنت وحدك أراك قادراً على أن تذود عنى الألم ، أقبل إذن فانحرنى .

رئيس الجوقة — دع هذا الكلام الذى يعلوه الشؤم ، ولا تصطنع دواء شرًا من الداء ، فتضيف شقاء إلى شقاء .

أياس [فى اضطراب متصل] — أترى إلىّ ، أنا الشجاع

الكريم الجرئ في المعركة المدمرة ، ما أخطر يدى على هذه الماشية الوادعة ! آه أأصبح موضوعًا للسخرية وأهين نفسى على هذا النحو ؟ !

تكمسا — أياس . . مولاى ! إنى أضرع إليك ألا تتحدث على هذا النحو .

أياس — اذهبى ، إلى وراء ، استخفى ! آه .

تكمسا — بحق الآلهة إلاّ ماسمعت لدعائى وثبت إلى الرشد .

أياس — ما أشقانى ! لقد تركت الأتريين البغيضين يفلتان من يدى ، وهجمت على الثيرة ذات القرون الملتوية ، وعلى قطعان شريفة من المعز فهرقت دمها الأسود !

رئيس الجوقة — لم تمعن فى الألم بعد أن كان ما كان ؟ فليس إلى استدراك ذلك من سبيل .

أياس — أيها الذى يرى كل شىء ، أيها المثير لكل جريمة ، إى سليل لايرتيس[١] ، إى حثالة الجيش : بأى ضحك عريض تعلن شماتتك ؟ !

---

(١) يريد أوديسيوس .

رئيس الجوقة — كل إنسان يضحك ويبكى كما يريد الإله .

أياس — لو أتيح لى أن أراه حتى فى هذه الحال السيئة التى أنا فيها ! واحسرتاه !

رئيس الجوقة — دع حديث الكبرياء ؛ ألا ترى إلى شقائك ؟

أياس — إى زوس جدّ آبائى ؛ لو استطعت أن أقتل هذا الخائن ، هذه الحثالة الحقيرة للناس جميعاً ، عدوى ، ثم أقتل بعده رئيس الجيش ، ثم أموت أنا بعد ذلك !

تكمسا — حين تتمنى ذلك تمنى لى أيضاً أن أموت . ولِمَ أعيش حين تفارق الحياة ؟

أياس [حادا مضطربا] أيتها الظلمة التى أصبحت لى ضوءاً ، إى دار الجحيم ، هذا المستقر المضىء لكائن مثلى ، خذى ، خذينى ساكناً جديداً خذينى . لم أبق أهلا لأن أرفع بصرى إلى الآلهة الخالدين ولا إلى الناس الهالكين ألتمس منهم العون . إن ابنة زوس (١) المخوفة تهيننى وتهلكنى . أين المهرب ، أين الملجأ الأمين ،

(١) يريد الإلهة أثينا .

ما دام كل شيء ينهار أيها الأصدقاء بمصرع هذه الماشية من حولي ، مادمت قد اندفعت إلى هذا الصيد الجنوني ؟ لو ظفر بي جنود اليونان لأقبلوا على شاهرين سيوفهم فمزقوني تمزيقا .

تكسا — واشقوتاه ؛ أيمكن أن ينطق رجل شجاع بمثل هذا الكلام الذي كان يستخذي لمثله قبل وقت قصير ؟!

أياس — أيتها الطرق المشرقة المنتهية إلى الساحل ، أيتها الأغوار البحرية ، أيتها المروج الساحلية : لقد أمسكتني وقتاً طويلا ، نعم وقتاً طويلا عند طرواده ، ولكنكن لن تحتفظن بي ، لن تحتفظن بي حيا . لقد فهمتن فلكن التحية ! إي أمواج سكامندر[1] القريب التي أحسنت ضيافة اليونان ، كلا لن تريني ، أنا الذي يفاخر بأن طروادة لم تر مثله أحداً أقبل من بلاد اليونان ، وهأنذا الآن طريحاً على الأرض قد فقدت شرفي .

رئيس الجوقة — أيجب أن أقفك عن الكلام ، أم أن أخلي بينك وبينه ؟ لا أدري ؛ لأن الشقاء الذي صرت إليه عظيم .

[صمت ، ينهض أياس]

---

(١) نهر معروف في آسيا الصغرى .

أياس — أي أي ! من كان يظن أن اسمي يتفق إلى هذا الحد مع آلامي[١] ؟ فقد جاء الوقت الذي يجب أن أردِّد فيه هذه الشكاة المؤلمة ، لقد تفوق أبي على الجيش كله ، وظفر بجائزة البطولة في أرض إيدا هذه ، ثم عاد إلى وطنه ماجدًا موفورا . وها أنذا ، ابن هذا البطل العظيم ، قد أقبلت إلى هذه الأرض نفسها شجاعًا مثله ، فأبليت كما أبلى ، ولكني أفقد الشرف . ومع ذلك فهناك شيء أظنني أعرفه : لو أن أخيل في حياته أراد أن يجعل سلاحه جائزة للبطولة لما منحه أحدا غيري . أما الآن فقد منح الأتريان هذا السلاح رجلا قادرا على كل شر ، وجحدا شجاعتي وحسن بلائي . ولولا أن ضلت عيناي وضــل عقلي لحولت عما كنت أريد لما أتيح لهما بعد اليوم أن يظلما رجلا آخر هذا الظلم . ولكن ابنة زوس ، هذه العذراء ذات اللحظ المخيف ، قد انتظرت بي حتى هممت بالأمر و بسطت إليه يدي ، ثم ألقت عليّ عارضًا من الذهول حتى خضبت يدي بدماء هذا الحيوان ، وهما الآن

---

(١) يريد أن اسمه أياس مشابه لاسم الصوت الذي سبق ، والذي يدل على الشكوى .

يضحكان لأنهما أفلتا منى على رغمى من غير شك . و إذا أراد إله بنا شرًّا أفلت الجبان نفسه ممن هو أشدّ منه شجاعةً وأعظم بأسا . والآن ماذا يجب أن أعمل ؟ أنا من غير شك عدو للآلهة ، الجيش يبغضنى ؛ وطروادة ، بل كل هذه الأرض ، تمقتنى . أيجب أن أترك مرسى السفن ، وأن أدع الأتريين وحدهما ، وأن أعود إلى وطنى ؟ وأى وجه أظهر به إذا وصلت إلى أبى تيلمون ؟ وكيف يحتمل عودتى إليه صفر اليدين غير ظافر بمثل ما ظفر به من تاج المجد والفخار ؟ كلا ! هذا لن يكون . أأذهب إذن إلى أسوار الترواديين ، أأهجم عليهم هجمة المستميت ؟ أأجد الموت بعد أن أحسن البلاء ؟ ولكنى إن فعلت ، أقررت عين الأتريين ! كلا هذا لا يمكن . يجب أن ألتمس وسيلة أثبت بها لوالدى الشيخ أنى ابنه حقا ، وأنى قد ورثت شجاعته و بأسه ، وقلبًا قد وضع فى موضعه . فإن من الخزى أن يرغب الرجل فى أن تطول حياته حين يعجز عن تغيير ما ألمّ به من الشقاء . وأى خير فى أن يضاف يوم من الحياة إلى يوم ، وأى نعمة يجد الإنسان فى هذا ما دام هذا اليوم لا يبعده من آخرته إلاّ ليقربه منها ؟ لن أحفل بالرجل

الذى تخدعه الآمال الكاذبة . إنما قصارى الرجل الكريم أن يعيش ماجدًا أو أن يموت كريما . لقد قلت كل شىء .

رئيس الجوقة — لن يستطيع أحد أن يدعى أنك يا أياس قد قلت غير ما يجمل بك أن تقول . ومع ذلك فثب إلى الهدوء وائذن لأصدقائك أن ينتصروا عليك فيما اعتزمت ، ودع هذه الخواطر المؤلمة .

تكمسا — أياس يا مولاى ؛ ليس أشدّ على الناس من الضرورة . لقد ولدت لأب حرّ قوى غنى بين الفريجيين جميعا ، وأنا الآن أمة ، كذلك أراد الآلهة ، وكذلك أراد بأسك خاصة . ومن أجل هذا أخلصت لك ، لأن الإخلاص واجب على من شاركتك فى مضجعك ، فأنا أضرع إليك بحق زوس إله البيت وبحق هذا المضجع الذى وصل بينك وبينى ألا تعرضنى لإهانة تنالنى من عدوك إذا أسلمتنى لسلطان غيرك . فإن اليوم الذى لا تعيش فيه ، اليوم الذى تتركنى فيه بعد أن يدركك الموت ، هو اليوم الذى سيأخذنى فيه الأرجيون قسرًا ، وسيأخذون فيه ابنك معى ، ويومئذ سأعيش عيشة الرق والذل . وسيلقى إلىّ

سادتى ألفاظًا مرة تمزقنى . سيقولون : « انظروا إلى أسيرة أياس الذى كان أقوى الجند وأعظمهم حظًا من البطولة ، أى ذل تعانى بعد أن كانت تثير الغيرة والحسد ! سيضطهدنى الآلهة وستكون هذه الإهانة عارا لك ولأسرتك . آه ؛ ارحم أباك الذى تتركه فى شيخوخة مظلمة . ارحم أمك التى أثقلتها السنون ، والتى تضرع إلى الآلهة دائما فى أن يردوك إليها سالماً موفورا . اشفق أيها الملك على ابنك ، الذى إن حرم رعايتك فى صباه فسينفق شبابه خاضعًا لسلطان وصاية بغيضة . فكر فى الشقاء الذى ستفرضه عليه وعلىّ أيضاً إذا قضيت على نفسك بالموت . فليس لى من أستطيع أن ألجأ إليه غيرك . لقد خربت وطنى بسنانك ، لقد ذهب القضاء بأمى ، ومضى أبى لسبيله أيضا ، فهما الآن فى دار الموتى ، فأى الناس غيرك يقوم منى مقام الوطن ومقام الثروة والغنى ؟ إنما أنت أملى كله . فكر فىّ أيضا ، فقد يجب أن يذكر الإنسان ما أتيح له من نعيم . إن الإحسان يلد الاعتراف بالجميل دائما . إن الذى ينسى ما قدم إليه من جميل لن يكون رجلا شريفا .

رئيس الجوقة — أياس ، وددت لو أحسست الشفقة كما أحسها فإنك تقرّ هذا الكلام .

أياس — من المحقق أنى أقرها على ما تقول إذا اصطنعت الشجاعة فأطاعت أمرى .

تكمسا — ولكنى أيها العزيز أياس سأطيعك فى كل شىء .

أياس — احملى إلىّ ابنى إذن لأراه .

تكمسا — لقد أبعدته إشفاقاً عليه .

أياس — أبعدته أثناء ثورتى ؟ ماذا تريدين أن تقولى ؟

تكمسا — أشفقت أن يموت التعس إذا لقيته .

أياس — كان هذا خليقاً أن يصدر عن الآلهة التى كانت تضطهدنى .

تكمسا — ولكنى حلت دون ذلك .

أياس — إنى أقرّ عملك وما اصطنعت من الاحتياط .

تكمسا — أى خدمة تريد أن أقدم إليك الآن ؟

أياس — أريد أن أتحدث إليه وأن أراه أمام عينى .

تكمسا — إن الخدم يحرسونه غير بعيد .

أياس — ما له إذن يتأخر فى المجىء ؟

تكمسا — أيها الصبى إن أباك يدعوك ، أحضره هنا أيها العبد الموكل به .

أياس — أيقبل أم لعله لم يسمع دعاءك ؟

تكمسا — هذا العبد يقوده ، ها هو ذا ؟

[يدخل عبد يقود بيده أريزاسيس]

أياس — خذيه خذيه وادفعيه إلىّ . لن يخاف الدم المسفوح إن كان ابنى وكان خليقًا بالانتساب إلىّ . على أن من الواجب أن ينشأ منذ الآن على شظف أبيه وشدته ، وأن يؤخذ بأن يكون مثلى . إى بنىّ ؛ إنى أتمنى أن تكون أسعد من أبيك ، وأن تشابهه فيما عدا ذلك ، إذن فلن تكون جبانا . على أنى أحسدك اليوم لأنك لا تحس شناعة هذه الفظائع . إنما جمال الحياة بالقياس إليك ، أنك لا تفكر حتى يأتى اليوم الذى تجد فيه الفرح والحزن . فإذا بلغت هذا الطور فأظهر لأعدائك أنك ابن أبيك . وإلى أن يأتى هذا اليوم فانشأ نشأة النبات الرخص يغذوه النسيم العليل ، وكن قرة عين لأمك هذه . لن يسوءك

يونانى بالإهانة حتى إذا افترقنا . سيحميك ويقوم دونك تكروس ، ولكنه غائب اليوم فى طلب العدو . وأنتم أيها الجند الذين يتخذون الدرق لهم جنة ، أيها البحارة إنى أنتظر منكم كما أنتظر من أخى هـذا البرّ بى . أبلغوه أيضاً أنى آمره بأن يقود هذا الصبى إلى بيتى و بأن يعرفه إلى أبى تلمون و إلى أمى إر يبه . وليكن هذا الصبى لهما عضدا وعماداً حتى يهبطا إلى مستقر الموتى . أما سلاحى فإنى لا أريد أن يعرض على اليونان جائزة يحكم فيها القضاه ، أو يقضى فيها الذى خاننى ، ولكن يا بنى خذ هذه الدرقة التى منحتك اسمها ، هذه الدرقة الكثيفة التى لا تنال والتى اتخذت من جلود سبعة من الثيرة ، خذها بهذه الحلقة المثبتة المتينة . وما بقى من سلاحى فليدفن معى — إلى تكمسا — خذى هذا الصبى مسرعة وأغلقى بيتى أمام الخيمة ، لا بكاء ولا أنين ، إن المرأة تحب العويل دائما . أسرعى إلى إغلاق البيت ، ليس من مهارة الطبيب أن يصطنع العزائم أمام العلة التى تدعو إلى السكين .

رئيس الجوقة — يملأنى الخوف حين أسمعك تتحدث فى

هذا العزم ، إن صوتك القاطع الذى تلقى به كلامك لا يعجبنى

تكمسا — أياس ، مولاى ، أى خطة يمكن أن تكون قد دبرت فى عقلك .

أياس — لا تفسير لا سؤال . إن الحياء أخلق بالكرم .

تكمسا — آه ما أشد قلقى ، إنى أستحلفك بابنك و بالآلهة ألا تتركنا .

أياس — لقد أسرفت على ، ألا تعلمين أنى قد أصبحت فى حل من تكريم الآلهة .

تكمسا — دع حديث الشؤم .

أياس — تحدثى إلى من يسمع لك .

تكمسا — وأنت فلن تلين ؟

أياس — لقد أسرفت فى الكلام .

تكمسا — ولكنى خائفة أيها الملك .

أياس إلى الخدم — ألا تسرعون إلى إغلاق الخيمة .

تكمسا — باسم الآلهة دع قلبك يلين .

أياس — إنك لمجنونة إن ظننت أنك تستطيعين الآن أن تغيرى طبعى .

[يدار اللولب ويستخفى أياس فى خيمته وتخرج تكسا ومعها ابنها]

الجوقة فى بطء — أى سلامين ذات الصوت البعيد ، إنك لتنعمين بالسعادة يحيط بك اصطخاب البحر ، و إن مجدك لخالد أمام الناس جميعاً ، أما أنا الشقى التعس . فقد طال على المقام فى أرض إيدا مخيم فى الشتاء والصيف منذ أشهر لا تحصى يلح على الجهد و يفنينى مر الدهر ، وأعلم حق العلم أنى سأنتهى يوما ما إلى الهبوط عند ذلك الإله المخيف ، إله الموتى .

وهذا أياس وقد ألم به داء لا دواء له يضيف إلى آلامى و يضاعف شقائى ، لقد ألم به عارض من الآلهة . لقد أرسلته يا سلامين سيدا يقود الجيش إلى المعركة ، أما الآن فقد خلا إلى نفسه وخواطره كأنه الراعى الوحيد وأصبح مصدر ألم عظيم لأصدقائه . وقد أعرض الأتريان عن بلائه الحسن ومآثره العظيمة .

[تسرع قليلا]

وارحمتاه لأمه التعسة قد أثقلتها السنون واشتدت عليها الشيخوخة ، ستبعث التعسة أنات تمزق القلوب حين تعلم ما ألم به من الجنون . لن تئن أنين البلبل الشاكى بل ستصيح صيحات حادة وستضرب بيديها صدرها ضربا مضاعفا وستنزع بيديها شعرها الذى جلله الشيب . خير للمريض الذى غلبه الجنون أن يستأثر به الموت ، هذا الذى أنجبه أبوه فتحدر من أكرم عنصر يونانى قد فقد أخلاقه الكريمة وتغيرت طبيعته . أيها الأب الشقى أى شقاء ثقيل ينتظرك حين تعلم آخرة ابنك الذى لم يلق أحد من أسرته مثل ما لقى من البؤس .

[يخرج أياس من خيمته هادئا وفى يده سيف وتتبعه تكمسا]

أياس — إن الزمن العريض الذى لا حد له يلد الأشياء الخفية فإذا ظهرت للضوء أخفاها فى نفسه[١] ، كل شىء ممكن ، ليس من الأشياء ما لا ينتظر حتى الحنث فى اليمين وحتى ضعف القلوب التى لا تقر . وكذلك كنت أنطق منذ حين بألفاظ قوية قاسية ، ثم ردتنى هذه المرأة إلى اللين كما يصهر الحديد فقهرت

---

(١) يريد أن الزمان يظهر الأشياء فى النهار ويخفيها فى الليل .

إرادتي[١] . عليَّ أن أترك بين العدو أيما ويتيما . سأذهب إلى الطهر ، إلى تلك المروج التي تتابع ساحل البحر لأغسل عني أوضار الوزر ولأتخفف من غضب الآلهة الذي يثقلني ، ثم أمضي بعد ذلك إلى مكان بعيد فأخفي هذا السيف المشؤوم حتى لا يراه أحد . ليخفه الليل ، ولتخفه ظلمة الجحيم . فإني تلقيت هذا السيف هدية من أشد أعدائي هكتور ، لم ألق من اليونان إلا إهانة وشرا ، لقد صدق المثل أن هدية العدو شر الهدايا ، هي شؤم دائماً . وسنعرف منذ اليوم كيف نذعن للآلهة وسنتعلم كيف نكرم الأتريين . هما يأمران فلنطع فليس إلى غير ذلك من سبيل . يجب أن تذعن القوة والبأس للسلطان . إن الشتاء المثلوج يمضي ليخلفه الصيف الخصب ، إن قبة الليل المظلمة لتنهزم أمام النهار تقوده خيله البيض ليشعل جذوته ، وإن عصف الريح العنيفة ليهدأ فيطمئن لهدوئه البحر المصطخب . وإن النوم الذي يسيطر على الكائنات جميعاً ليتخلى عن الذين احتازهم ويخلصهم من قيوده . فما بالنا لا نصطنع الحكمة والاحتياط . سأصطنعهما ،

(١) يخيل أنه قد عدل عما صمم عليه من الانتحار .

قد تعلمت أنه يجب أن نبغض العدو هوناً ما لعلنا نحبه يوماً ما . ولن أحب نفع الصديق إلا على أنه قد يستحيل عدواً . إن مودة الناس أضعف من أن تكون وفية دائماً . نعم كل ما أفكر فيه سينتهى إلى الخير . أيتها المرأة عودى إلى خيمتك وصلىّ للآلهة والتمسى منهم أن يتم كل ما أريد كما أريد . وأنتم أيها الأصدقاء ، اصنعوا صنيعها محبة لى وقولوا لتكروس إذا عاد ألا ينسانا وأن يكون بكم رفيقاً . فإنى ذاهب إلى حيث يجب أن أذهب . افعلوا ما أمرتكم به وستعلمون عما قليل أنى وجدت الخلاص من شقائى .

[يخرج وتدخل تكمسا إلى الخيمة]

الجوقة فى نشاط وفرح — إنى لأرتعد سروراً ، وإن الفرح ليمنحنى أجنحة . أى پان ، دع هذا السفح الصخرى لجبل كولين الذى يغطيه الثلج وابرز إلينا على الساحل الذى تلطمه الأمواج أنت الذى يرأس جوقة الآلهة لتشاركنا فى هذا الرقص الذى تحسن أنت معرفته ، رقص نيسا[١] وكنوسوس[٢] . أريد أن

(١) إله من آلهة الفرح والنشاط والعبث .

(٢) مدينتان أولها فى بلاد اليونان والأخرى فى جزيرة كريت .

أؤلف جوقات. ليسرع إلى أبولون ملك بلوس عابرا بحر[1] إكار بأعين الناس جميعاً وليظهر أنه ما زال على عطوفاً .

لقد صرف عني أريس[2] ألماً شنيعا أي زوس . الآن يستطيع الضوء المشرق للأيام السعيدة ، أن يغمر سفننا السريعة ما دام أياس قد نسي آلامه وعاد إلى طاعة الآلهة . إن الزمن القوى ليمحو كل شيء . لن أرى شيئاً غير قابل التحقيق مادام أياس قد عدل عن غضبه على الأتريين وانصرف عن خصومته العنيفة .

[يأتى رسول قد أقبل من معسكر اليونان]

الرسول — أيها الأصدقاء ، أريد قبل كل شيء أن أعلن إليكم خبراً . لقد عاد تكروس مقبلا من جبال ميزيا . لم يكد يبلغ خيمة القائد فى وسط المعسكر حتى أهانه اليونان جميعاً . فقد عرفوه من بعيد بينما كان يسعى إلى الخيمة فأطافوا به كالدائرة ، ثم جعلوا يستبقون إلى صب الإهانة عليه يدعونه أخا المجنون ، وأخا عدو الجيش ، ويزعمون أنه لن يمنعهم من تمزيق جلده ورجمه بالحجارة حتى يموت . وقد بلغ الأمر حداً سلت له

(١) هو بحر سقط فيه البطل إيكار حين طار بأجنحة من شمع فأذابتها الشمس فسمى البحر باسمه .
(٢) إله الحرب .

السيوف من أغمادها . وانتهت الخصومة إلى أقصاها ، وكادت تبلغ ما لا سبيل إلى استدراكه لولا أن ردتها حكمة الشيوخ إلى الهدوء ، ولكن أين أياس ؟ أريد أن أقص عليه النبأ ؟ للسيد وحده ينبغي أن يكشف كل شيء .

رئيس الجوقة — ليس في خيمته . لقد انطلق منذ حين . لقد تغيرت غايته حين تغير خلقه .

الرسول — وا حسرتاه . إذن فقد أرشدني مرسلي إلى طريق بعيدة مع أني لم أقصر في العدو .

رئيس الجوقة — فيم قصرت ؟ .

الرسول — لقد نهى تكروس عن أن يخرج أياس قبل أن يصل هو

رئيس الجوقة — لكنه مضى إلى أشرف الغايات . مضى ليصلح أمره مع الآلهة ويمحو من قلبه كل حقد .

الرسول — ليس هذا الكلام إلا جنوناً إن صدقت نبوة كلكاس[1] .

(١) كاهن يوناني .

رئيس الجوقة — أى نبوءة ؟ وما علمه بهذا .

الرسول — إليك كل ما أعرف فقد كنت حاضراً جماعة الشورى حيث كان الملوك يأتمرون . لقد نهض كلكاس وحده وترك الآخرين ، ومضى حتى بلغ تكروس فصالحه وأمره أن يمسك أياس فى خيمته ، لا يهمل فى سبيل ذلك شيئاً حتى ينقضى هذا اليوم . لا بد من ذلك إن كان يريد أن يرى أخاه حيا . وكان يؤكد أن غضب الإلاهة أثينا لن يتبعه إلا هذا اليوم . وكان الكاهن يقول إن الرجال المغرورين المتكبرين يتردون فى البؤس تدفعهم إليه إرادة الآلهة . ذلك أنهم يولدون ضعافاً هالكين ، فينسيهم الجهل والغرور طبيعتهم . وقد أظهر أياس بوادر الطيش والغرور قبل أن يفصل عن داره ، وكان أبوه ينصح له ويرده إلى الأناة والحكمة .

وكان يقول له يا بنى إن السنان فى يد البطل يدفع إلى النصر ولكن بمعونة الآلهة . وكان يجيب فى غرور وحمق « يا أبتى إن معونة الآلهة تجعل الجبان شجاعاً ماجداً . أما أنا فأستطيع بدونها أن أبلغ من المجد ما أريد » كذلك كانت كبرياؤه . وذات يوم كانت الإلاهة أثينا تحضه على الحرب ، وتأمره أن يوجه

سلاحه الدامى إلى العدو فرد عليها بهذا الجواب القطيع الهائل !
أيتها الملكة حضى غيرى من اليونان وأيديهم بنصرك ، أما أنا فحيث أكون من المعركة فلن تختل الصفوف . وبهذا النحو من الكلام الذى لا يصور عواطف الرجال ، أحفظ الإلاهة وأثار غضبها عليه . ومع ذلك فقد نستطيع بمعونة الآلهة أن ننقذه إذا احتفظ بحياته هذا اليوم . هذا بالدقة ما قاله الكاهن .

هنالك أرسلنى تكروس لأنهى إليك أمره بالقيام دون والمحافظة عليه . أترانى وصلت متأخراً ؟ لقد مات أياس إن كان كلكاس يحذق فنه .

رئيس الجوقة — أيتها التعسة تكمسا ، لقد ولدت لتألمى ، تعالى فانظرى ما يقول هذا الرجل ، إن سعادتنا لفى خطر ، إن الموسى لبين الجلد واللحم .

[تدخل تكمسا ومعها إربساسيس]

تكمسا — ما أتعسنى . لم أكد أخرج من آلامى المتصلة حتى تثيرنى من مكانى . لماذا ؟

رئيس الجوقة — اسمعى لهذا الرجل ، لقد جاء يقص علينا

حول أياس أنباء تخيفنى .

تكمسا — آه ما ذا تقول أيها الرسول ؟ أقضى فى أمرنا ؟

الرسول — لست أدرى ما عسى أن يلم بك ، أما أياس فإن كان خارج الخيمة فلست مطمئنا عليه .

تكمسا — نعم إنه خارج الخيمة ، وإن ما تقوله ليملأ نفسى ألما وقلقا .

الرسول — إن تكروس يأمر بأن يحبس فى خيمته وألا يخلى بينه وبين الخروج وحيداً .

تكمسا — أين تكروس ؟ وفيم يأمر بهذا ؟

الرسول — لقد عاد وهو يخشى أن يكون خروج أياس قاضيا عليه .

تكمسا — ما أشقانى . من علمه ذلك ؟

الرسول — علمه هذا الكاهن ابن تستور فى هذا اليوم الذى سيقضى فيه على أياس بالموت أو بالحياة .

تكمسا — آه أيها الأصدقاء أعينونى على هذه المحنة المحرجة — إلى خدمها — أسرعوا أنتم إلى تكروس ليتعجل العودة

— ثم إلى الجوقة — أسرعوا إلى ساحل البحر ، أما أنتم فمشرقين وأما أنتم فمغربين ، وابحثوا عن أياس لتعلموا أين ذهب زوجي ليلتمس الموت . فقـد أرى أنه خيب أملي وصرف عني عطفه القديم . إي بني ماذا أصنع ؟ لا يجب أن أظل جامدة في مكاني بل يجب أن أمضي مع الآخرين إلى حيث تبلغني قوتي . لنمض لنشتد في العدو . ليس هـذا وقت القعود حين يجب إنقاذ من يسرع إلى الموت .

رئيس الجوقة — أنا مستعد للعدو وسأثبت هذا بشيء غير الكلام ، وسيكون إسراعي في العمل تابعا لاسراعي في العدو .

[تخرج تكمسا مسرعة مع ابنها وتنقسم الجوقة إلى فريقين يمضي كل منهما لوجهه يمينا أو شمالا ويظل موقف الجوقة خاليا ثم يتغير المنظر . مكان معتزل خال على ساحل البحر . وقد غرز أياس سيفه في الأرض وراء بعض الأعشاب . وجعل حده إلى الهواء] .

أياس — هذا قاتلي قائما على هذا النحو يكون أقطع وأمضى حتى لمن يفكر ويروى . لقد أهداه إلى هكتور أبغض من ضيفني وأشد أعدائي عندي مقتا . لقد غرزته في أرض العدو أرض طروادة بعد أن شحذته على الحجر الذي يعض الحديد . لقد

أثبته في الأرض ، فهو الآن قادر على أن يمنحني من غير عناء هذا الموت السريع الذي أطلبه وأرغب فيه . لقد فعلت كل ما كنت أستطيع أن أفعل . أما الآن فإن عليك يا ذوس قبل غيرك أن تتم ما يجب عليك فتعينني . لا أطلب إليك شيئاً ذا خطر ، أوصل إلى تكروس هذا النبأ الحزن نبأ موتي ، وليكن هو أول من يأتي ليداري جسم صديق قد ألقى بنفسه على سيفه الدامي ، ليحذر كل الحذر أن يسبقه إلى هذا الجسم أحد الأعداء فيطرحه طعمة للكلاب ، وسباع الطير . إي ذوس ، هـذي صلاتي ، ولكني إنما أضرع إلى هرميس ، هذا الذي يقود الموتى في الدار الأخرى ، ألا يكاد هذا السيف يخترق جسمي ، حتى يمهد لي إلى تلك الدار مهبطاً سهلا هيناً . إنما أدعو هؤلاء العذارى الخالدات اللاتي تغمضن أعينهن عن بؤس البائسين ، أدعو آلهة الانتقام الجليلات المسرعات ، لينظرن إلى هـذا الموت الذي ألقاه في شقاء وسوء حال بيد ابني أتريوس . لعلهن ينلن هذين الرجلين الشريرين بسخطهن ، فيعدلن بين إثمهما وما يلقيان من عقاب .

إنهن ليرينني أسلب نفسي الحياة بيدي فلعل هذين الرجلين يسلكان هذه الطريق التي أسلكها فيمزق كل منهما صدره

ويجود بنفسه أمام أعز الناس عليه وأحبهم إليه . أقبلن إذاً أيتها الآلهة المنتقمة ، أسرعن لاتبقين على شىء ، سلطن غضبكن على هذا الجيش كله ، وأنت أيتها الشمس تقود عجلتها على قبة السماء إذا بلغت مسقط رأسى ، حيث رأيت الضوء لأول مرة فأمسكى لجامك الذهبى وألقى إلى أبى الذى قد أثقلته السن و إلى أمى التعسة ما لقيت من بؤس ، وما ادخر لى القضاء . يا لها من شقية ، بأى أنين سيمتلئ بيتها حين يبلغها هـذا النبأ . ولـكن ماذا أصنع ؟ لندع هذا البكاء الذى لا يجدى شيئاً ولنسرع إلى إتمام ما بدأنا . يا للموت . أيها الموت أقبل الآن ، أعنّى . زرنى لقد آن لك أن تفعل ، عما قليل سأساكنك وسيتصل بيننا الحديث . أيها الضوء اللامع ضوء النهار ، أيها النور المشرق ، أيتها الشمس إنى لأراك ، إنى لأناجيك لآخر مرة أيتها الأسوار المقدسة ، أسوار سلامين وطنى ، أيتها المنازل العزيزة منازل أجدادى ، أيتها المدينة الكريمة مدينة أثينا ، أيها الأصدقاء الذين شبوا معى ، أيتها العيون والأنهار والحقول تحيط بتروادة إليكم أهدى التحية ، إى هذان اللذان منحانى الحياة فى ذمة الآلهة هذه آخر كلمة يوجهها إليكما أياس فلن ينطق بعدها فى دار الموتى .

يقبل بعض الجوقة من جهة و بعضها من جهة أخرى .

الفريق الأول — تعب على تعب ، تعب دائما . إلى أى مكان فى الحق إلى أى مكان لم أذهب ولم يرن مكان ، وقد استكشفت ما أبحث عنه . ماذا ! ماذا ؟ إنى أسمع صوتا .

الفريق الثانى — نحن الذين يصاحبونكم فى السفر ، نحن رفاقكم .

الفريق الأول — إذن ما ذا ؟

الفريق الثانى — لقد طوفنا كل الناحية الغربيـة من المعسكر الساحلى .

الفريق الأول — وهل وجدت ؟

الفريق الثانى — وجدت تعبا كثيراً لا شيئا آخر . لم أر شيئا

الفريق الأول — وفى طريقنا من مشرق الشمس لم نستكشف أياس .

يصل الفريقان إلى وسط الملعب فيجتمعان .

الجوقة فى اضطراب — أى الصائدين العاملين فى البحر ، أى آلهة أولمبوس ، أى الأنهار الجارية التى تنصب فى البوسفور

يستطيع أن يدلنى على هذا الشق أياس . إن من شقائى أنا الذى يهيم فى أقطار الأرض ويحتمل أثقل الجهد منــذ وقت طويل ألا أدركه ساعيا إلى غاية سعيدة ، وألا أستكشفه وقد أعياه الجهد وألم به الشقاء .

يسمع عويل يأتى من بعيد .

تكمسا — وا حسرتاه ، وا حسرتاه .

رئيس الجوقة — من ذا الذى بعث هذه الصيحة تأتى من الوادى الذى تكسوه الغابات .

تكمسا — ما أشقانى .

رئيس الجوقة — الأسيرة ، المرأة الشقية إنى أراها أنها تكمسا تعول وقد أثقلها الشقاء .

تكمسا — إنى ضائعة ميتة فانية أيها الأصدقاء .

رئيس الجوقة — ماذا !

تكمسا — انظروا هذا أياس قتيلا ، إنه صريع على الأرض حيث لا تقع العين وقد اخترق صدره السيف .

الجوقة مضطربة — آه وعودتى أيها الأمير ، لقد قتلت

رفيقك فى السفر إلى لشقى ، وإن محنتك لعظيمة أيتها المرأة .

تكمسا — أما وقد مات فلم يبق لنا إلا البكاء .

رئيس الجوقة — أى يد حملت إليه الموت ، ياله من شقى .

تكمسا — لقد حمل الموت إلى نفسه هذا جلى . يشهد بذلك هذا السيف المثبت فى الأرض والذى هو صريع من حوله .

الجوقة مضطربة — أى شقاء هذا الذى ألم بى . لقد قتلت نفسك إذن وحيداً بعيداً عن ملاحظة أصدقائك . وتركتك تعمل دون أن أفهم شيئاً ، دون أن أعرف شيئاً ، فى أى مكان صرع أياس هذا البطل الجلد صاحب الاسم المشؤوم .

تكمسا — لن تراه . سألفه وأستره كله فى هذا الثوب فلن يستطيع أحد مهما تكن مودته أن يراه ، وقد اندفع من أنفه وجرحه القانى دم أسود هو الذى سفكه ، آه ماذا أصنع ؟ أى صديق يحملك ؟ أين تكروس ، إنه ليأتى فى وقت الحاجة إليه ليدفن أخاه الذى قضى . أيها التعس أياس ماذا كنت وأى شىء أنت الآن ، إنك لخليق بالرثاء حتى من عدوك .

الجوقة مضطربة — لقد كان يجب أيها الشقى ، لقد كان

يجب فى يوم من الأيام أن تضع حداً لآلامك التى لا نهـاية لها من أجل هذا كنت تئن فى الليل والنهـار ، يملأ قلبك بغض الأتريين وتدفعك إلى الشر حـدة مشؤومة . لقد كان مصدر شر عظيم ذلك اليوم الذى قرر فيه الاستباق فى الشجاعة للفوز بسلاح أخيل .

تكمسا — وا حسرتاه ، وا حسرتاه .

رئيس الجوقة — إنى لأعلم أن آلاماً عنيفة تنفذ إلى قلبك

تكمسا — وا حسرتاه ، وا حسرتاه .

رئيس الجوقة — لا أدهش إن رأيتك تضاعفين الأنين بعد أن فقدت شخصاً عزيزاً عليك .

تكمسا — لا يستطيع أحد أن يتخيل هذا الألم ، أما أنا فأعرفه حق المعرفة .

رئيس الجوقة — هذا حق .

تكمسا — أى بنى أى استعباد ينتظرنا من هؤلاء الأعداء الذين يضمرون لنا الشر .

الجوقة فى اضطراب — إذا صب عليكما الأتريان هـذا

الألم الذى تتحدثين عنه كان مسرفين فى القسوة ، فلتحمنا منهما الآلهة .

تكمسا — لم نكن لنتعرض لهذا الشقاء ، لو لم يرد الآلهة .

رئيس الجوقة — ما أثقل المحنة التى يمتحنوننا بها .

تكمسا — ومع ذلك فهذا الشر كما هو يأتينا من ابنة زوس ، من هذه الآلهة المخوفة بالاس[1] تريد أن تسر به أوديسيوس .

الجوقة مضطربة — إنه من غير شك يهيننا فى قلبه المظلم هذا الرجل الذى لا يتعب ، و إنه ليلتى ما جر علينا جنون أياس من السوء بضحك عريض واحسرتاه ، و يشاركه فى هذا الابتهاج الملكان الأتريان .

تكمسا — ليضحكوا وليبتهجوا بشقاء أياس ، ولعلهم و إن لم يحبوه حيا أن يفتقدوه محزونين عليه حين تذكرهم به ضرورات الحرب . فقد كان الحمقى يجهلون قيمته حين كان بينهم ، إن آخرته لتثير فى نفسى من المرارة أكثر مما تثير فى نفوسهم من الرضى أما هو فقد اطمأن ، لقد ظفر بما كان يريد ، الموت الذى كان

---

(١) اسم من أسماء أثينا .

يبتغيه . لم يضحكون منه إذن . لقد قضى الآلهة عليه بالموت . دونهم ثم دونهم . ليسرف أوديسيوس منذ الآن فى الإهانة فلن ينال أياس منه شىء ، أما أنا وقد مات فلم يترك لى إلا حزناً وأنيناً .

[وفى أثناء هذا الحديث يسمع عويل يدنو شيئاً فشيئاً]

تسكروس — وا حسرتاه ، وا حسرتاه .

رئيس الجوقة — كفى . كأنى أسمع صوت تسكروس . إن صيحته لشكاة مؤلمة كشقائنا [يدخل تكروس] .

تسكروس — أيها العزيز أياس . أيها الأخ الحبيب . أحق ما تلهج به الأحاديث من أمرك .

رئيس الجوقة — لقد مات أياس فاعلم ذلك يا تسكروس .

تسكروس — أى محنة مهلكة تلم بى .

رئيس الجوقة — فى هذا الحداد .

تسكروس — إنى لشقى .

رئيس الجوقة — من حقك أن تئن .

تسكروس — ألم مبهظ .

رئيس الجوقة — أجل يا تسكروس .

تكروس — إن بؤسى لعظيم ، ولكن أين ابنه ، فى أى مكان هو من أرض طروادة ؟

رئيس الجوقة — هو وحيد عند الخيام .

تكروس إلى تكمسا — ألا تذهبين لتأتى به مخافة أن يأسره بعض العدو كما يصنع بالأشبال بعد مصرع الأسد . اذهبى ، أسرعى ، أعينينى ، ما أكثر ما يحب الناس إهانة الموتى حين يصرعون

[تذهب تكمسا]

رئيس الجوقة — نعم لقد أوصانا سيدنا قبل أن يموت بأن نبلغك رغبته إليك فى حماية هذا الصبى كما تفعل الآن .

[بينما يتحدث رئيس الجوقة يدنو تكروس من جثة أخيه]

تكروس — أيها المنظر الذى لم أر قط مايبلغه شدة و إيذاء . أيتها الطريق التى قطعتها الآن والتى عذبتنى كما لم تعذبنى قط طريق أخرى . أيها العزيز أياس لم أكد أعلم من أمرك ما علمت حتى أسرعت ، حتى طرت باحثاً عنك . لقد طار الصوت عنك سريعاً كأنه صوت الآلهة ، فانتشر فى أندية اليونان يعلن أنك قد قضيت ، فلما سمعت ذلك وكنت بعيداً جعلت أشكو وأمعن

فى الأنين . فأما الآن وقد رأيتك فإنى أموت . وا حسرتاه — ثم يتجه إلى أحـد الخدم قائلا — اذهب فاكشف عنه رداءه لأرى كل شقائى — فيطيع الخادم — منظر قاس ، شجاعة مرة . أى بذر للألم تلقى فى نفسى يا أياس بعد موتك . أين أستطيع أن أذهب و إلى أى الناس أستطيع أن ألجأ بعد أن ألمت بك الأحداث فلم أمنحك معونة ما . من المؤكد أن أبانا تلامون سيلقانى بوجه بشر عطوف حين أعود إليه من غيرك . كيف أشك فى ذلك ؟ إن ابتسامه ليس محببا إلى النفس حتى أوقات سعادته . أى شىء لن يقوله هـذا الرجل وأى إهانة لن يوجهها إلى أنا الذى ولد من أمة قد أسرت فى الحرب . سيتهمنى بأننى خنتك جبنا أو خنتك ماكراً بك لأستأثر من دونك بالميراث . هذا ما سيقوله هـذا الرجل الغضوب الذى منحته السن حدة واستعداداً للغيظ فأصبح يثير نفسه الشكسة أيسر الأشياء ، وستنتهى بى الحال إلى أن أطرد من بيتى وأنفى عن بلدى وأعامل كما يعامل الرقيق بعد أن كنت خليقاً بحرية الرجل الكريم . هذا ماينتظرنى عند أهلى . أما فى أرض طروادة فما أكثر عدوى

وما أقل صديق . وهذه هى الآلام التى يجرها على موتك مجتمعة — صمت — وا حسرتاه ! كيف أستقبل أمرى ؟ كيف أخلصك من هذا السيف اللامع الحاد الذى قتلك وسلبك الحياة . أ كنت قدرت أن هكتور حتى بعد موته سيهدى إليك الموت — ثم يتجه إلى النظارة وفى يده السيف الذى انتزعه من جثة القتيل قائلا — فكروا بحق الآلهة فى آخرة هذين الهالكين . لقد شد هكتور إلى عجلة أخيل بالحالة التى أهداها إليه أياس فما زالت هذه العجلة تسحبه حتى مزق تمزيقا ، وحتى لفظ حياته . وتلقى أياس من هكتور هذا السيف هدية فسلبه الحياة . أليست آلهة الانتقام هى التى صاغت هذا السيف ، أليس كبير آلهة الموت هو الذى صنع تلك الحالة ؟ أما أنا فأرى أن هذه الأحداث كغيرها مما يمر بالناس . عمل الآلهة يعدونه للانسان فمن لم ير فى دخيلة نفسه مثل ما أرى فله دينه ولى دينى .

[وهنا يقبل منيلاووس ومعه حاشية عظيمة]

رئيس الجوقة — لا تسرف فى الإطالة ، فكر كيف توارى هذه الجثة وكيف تتكلم بعد حين . إنى أرى عدوا ولعله إنما أقبل

ليهيننا فى آلامنا فقد علمته رجل سوء .

تـكروس — أى رجال الجيش هذا الذى تراه مقبلا .

رئيس الجوقة — هو منيلاووس الذى من أجله تجشمنا هذا السفر .

تـكروس — إنى أراه يدنو وليس من العسير أن نعرفه .

منيلاووس لتكروس — ياهذا إليك أسوق الحديث ، لا توار هذه الجثة ، دعها كما هى .

تـكروس — لم تنفق هذا الجهد فى القول ؟

منيلاووس — هذه إرادتى ، هذه إرادة قائد الجيش .

تـكروس — ألا تستطيع أن تبين لنا العلة التى تتكلفها لهذا الحظر ؟

منيلاووس — هى أننا قدرنا حين دعوناه لمونتنا أنه أقبل معنا حليفاً صديقاً ، فلما بلوناه وجدناه عدوا أشد عداوة لنا من الفريجيين ، فقد هم بتقتيل الجيش كله وهجم علينا فى الليـل ليقتلنا برمحه ، ولولا أن إلها أطفأ جذوة غضبه ، لقد كان أنفذ فينا إرادته وقضى علينا الموت الذى دفع إليـه هو واضطرنا إلى

أشنع الخزى ، ثم استمتع هو بالحياة ، ولكن الآلهة منذ حين قد حولت عنا غضبه وصبته على الشاة وعلى قطعان الماشية . ومن أجل هذا لن يستطيع أحد أن يوارى جثته فى قبر . سيظل ملقى على هذا الرمل الأصفر ، رمل الشاطئ ، حتى يصير نهباً لسباع الطير — تكروس يظهر الغيظ — لا تظهر هذا الغيظ ولا تخالف عن هذا الأمر ، فإذا كنا لم نستطع أن نحمل أياس على الطاعة أثناء حياته فسنستطيع أن نحتكم فيه بعد موته ، ولو قمت دونه معارضاً ممانعاً فليس ردك عن ذلك بالشيء العسير . لم يرد قط فى حياته أن يسمع لى ، و إن الرجل من أبناء الشعب الخائن إذا لم يستمع للرؤساء والقادة . ولن يكون للقوانين ما ينبغى من السلطان فى أى مدينة إذا لم يحمها الخوف ، ولن يسود النظام فى جيش ما إذا لم تحمه الهيبة والاحترام . يجب أن يقدر الفرد مهما يكن قويا أنه معرض للموت حتى لأهون الخطأ . تعلم أن من أحس فى نفسه الخوف والاحترام كان خليقاً أن يسلم وأن المدينة التى لا تحظر فيها الجراءة والإقدام على كل شىء خليقة أن تتردى فى الهاوية بعد أن سارت سفينتها آمنة موفورة.

وقد جرت لها الريح مواتية رخاء . ولست أرى بدا من أن يسيطر على الناس خوف يردهم عن الشر و يضطرهم إلى الطاعة فلا نخيل إلى أنفسنا أننا إذا أرسلناها على سجيتها ، وابتغيناها لذاتنا حيث تكون أمنّا حسرة الندم ، هـذه أشياء يتبع بعضها بعضاً . لقد كان أياس فيا مضى عنيفاً عنيداً ، فقد آن لى اليوم أن أكون قويا متحكما ، و إنى أعلن إليك أنى أحظر عليك دفنه إلا إذا أردت أن تدفن معه .

رئيس الجوقة — إلى منيلاووس . لقد قلت الحق ونطقت بالحكمة ، فلا تكن بعد ذلك آثماً فى ذات الموتى .

تكروس — لن يدهشنى أيها الأصدقاء أن يخطئ رجل من الدهماء بعد أن رأينا الذين ينحدرون من أسر كريمة يسرفون على أنفسهم فى القول إلى هذا الحد . لننظر ولنراجع حديثك من أوله . تزعم أنك قدت أياس إلى هذا المكان حليفاً لليونان ، ولكن ألم يبحر مختاراً حرا غير خاضع لأحد ؟ على ما تعتمد حين تزعم أنك كنت له قائداً ؟ و بأى حق تريد أن تسود الشعب الذى قاده هو ؟ لقـد جئت ملكا لأسبرتا لا سيداً لنا ، ولم يكن لك

الحق فى أن تسوده كما لم يكن له الحق فى أن يسودك . لقد أمجرت خاضعاً لغيرك ولم تستمتع قط بالسلطان الأعلى ، ولم يذعن لك أياس قط . فأملك على رعيتك وأنبهم إن شئت بهذا الحديث الذى تملأه الكبرياء ، فأما هو فسواء منعت ذلك أنت أو منعه غيرك فسأضعه فى قبره غير حافل بما تقول . إنه لم يحارب من أجل امرأتك كما تحارب رعيتك ، وإنما حارب للعهد الذى قطعه على نفسه ، لم يحارب قط من أجلك فإنه لم يكن يحفل بالذين لا يعدلون شيئاً . بعد ذلك تستطيع أن تذهب فتستنجد بالأبطال ، بل بالقائد نفسه أيضاً فإن ضجيج ألفاظك لا يبلغنى ما دمت على هذه الحال التى أنت عليها .

رئيس الجوقة — ولست أحب كذلك لهجة كهذه اللهجة حين يكون الإنسان مثقلا بالشقاء ، فإن الألفاظ العنيفة مهما تكن صائبة عادلة تؤذى كما يؤذى العض .

منيلاووس — إن الرامى لا يظهر التواضع (١) .

---

(١) يشير إلى أن تكروس لم يكن من أصحاب السلاح الثقيل الذين يتخذون الدرع والدرقة والسيف والرمح وإنما كان من أصحاب السلاح الخفيف الذين يتبعون الجيش ويرمون بالسهام وهم من الطبقة الدنيا فلا ينبغى لهم أن يصطنعوا الكبرياء ، ولا أن يتحدثوا حديث الأحرار .

تـكروس — إن صناعتى ليست تزرى بالرجل الحر .

منيلاووس — ما أخطبك وأبلغك لو حملت الدرقة .

تـكروس — حتى مع حملى للسلاح الخفيف أستطيع أن أثبت لك رغم سلاحك الكامل .

منيلاووس — ما أشد شجاعتك حين تتكلم .

تـكروس — من كان العـدل نصيره حق له أن يكون شجاعاً .

منيلاووس — من الحق إذن أن يقتلنى وأن ينتصر .

تـكروس — أن يقتلك ! كلام جميل . أنت حى إذن بعد أن مت .

منيلاووس — لقد أنقذنى أحد الآلهة ولو قد عاش أياس لما عشت أنا ! .

تـكروس — لا تهن الآلهة الآن وقد ضمنوا لك الحياة .

منيلاووس — أنا أهين الآلهة وأزدرى قوانينهم .

تـكروس — نعم حين تحظر دفن الموتى .

منيلاووس — دفن أعدائى خطيئة إن أذنت به .

تكروس — أ كان أياس قط عدوا لك .

منيلاووس — كان يبغضنى وكنت أبغضه وأنت تعرف ذلك .

تكروس — لقد علم الناس أنك سرقت منه التحكيم (١)

منيلاووس — هذا خطأ القضاة لا خطئى .

تكروس — إنك ماهر فى إخفاء السيئات .

منيلاووس — هـذه كلمة قد تكلف بعض الناس ثمناً باهظاً .

تكروس — لئن استلزمت بعض الشر فمن الهين أن تجزى بمثله .

منيلاووس — ليس إلا كلمة واحدة : احذرأن توارى أياس

تكروس — ليس لى إلا جواب واحد : لأوارينه .

منيلاوس — لقد رأيت رجلا عضب اللسان يشجع البحارة على أن يقلعوا أثناء العاصفة فما هى إلا أن اشتد قصف الزوبعة حتى خفت صوته . وحتى التف فى ثوبه واستلقى على

(١) يشير إلى ما كان من التحكيم فى من يستحق سلاح أخيل .

ظهره فالبحارة يطأونه بأقدامهم ، ذلك شأنك لغط كثير وسفه عظيم وجرأة لا حد لها ، ولكن هذا كله سيخمد حين تناله أيسر ريح تبعثها سحابة هينة .

تكروس — أما أنا فقد رأيت مجنوناً يهين جيرانه فى آلامهم فيقول له رجل يشبهنى حظه من الشجاعة قليل كحظى : أيها الرجل احذر أن تهين الموتى ، و إلا فثق أن العقوبة نازلة بك . هذه هى النصيحة كان يهديها إلى هذا الرجل الدنىء الذى تراه عيناى الآن ، والذى يخيل إلىّ أنه ليس إلا إياك . أترى فى هذا شيئاً من الخفاء ؟ .

منيلاووس — لأمضين فإنى أستخذى أن يرانى الناس أعاتب باللسان حين أستطيع أن أستخدم القوة .

تكروس — امض إذاً فأشد من ذلك خزياً أن أسمع لمجنون ينفق وقته فى لغو الحديث .

— يخرج منيلاووس —

رئيس الجوقة — ستشتد الخصومة فيما أرى ، فأسرع ما استطعت يا تكروس فى أن تجد حفرة عميقة ، وتوارى أياس

فى أرضها الرطبة حتى يشتهر قبره أبداً بين الناس .

[تدخل تكمسا ومعها أوريساسيس]

تكروس — هذا ابن أياس وامرأته يدنوان ، بل يصلان فى الوقت الملائم ليهيأ قبر هذا الميت التعس . أيها الصبى : تعال هنا ادن وضع يدك ضارعا على جثة أبيك . أقم هنا . أدر عينك نحوه وخذ بيدك شعرى وشعر أمك وشعرك أنت ، فهذا قربانا نحن الضارعين . وأى فرد من أفراد الجيش يجرؤ على أن ينزعك بالقوة من قرب هذا الميت ، فلتقض الآلهة على هذا المجرم أن يطرد من وطنه ذليلا ، وأن يموت دون أن يظفر بالقبر ، وأن يحصد وتحصد أسرته كلها من أصلها بنفس الطريقة التى أجزّ بها هذه الخصلة من شعرى . خذها يا بنى واحتفظ بها ولا يبعدك أحد عن هذه الجثة . أقم إلى جانبها جاثياً . وأنتم كونوا رجالا كونوا أقوياء ، أقيموا حوله ، ذودوا عنه حتى أعود وقد هيأت قبرا لأياس برغم هذا الخطر .

[يخرج تكروس]

الجوقة فى بطء وحزن — أى آخرة . متى تنقضى هذه الأعوام

التى لا تنصب والتى تجر على فى غير انقطاع هـذه الآلام التى لاتنقضى ، آلام الحرب حول طروادة الواسعة التى قضى بها الذل والشقاء على اليونان . ليته استخفى من قبل فى الأرض العريضة أو فى دار الموتى التى ينتهى إليها الناس جميعا ذلك الرجل البغيض الذى علم اليونان الحرب مهما يكونوا و بأسلحة بغيضة ، ما أكثر الآلام التى نشأت عن ذلك وولد بعضها بعضا ، هذا الرجل أهلك الإنسانية كلها .

[يشتد الصوت]

لقد حرم على هـذا الرجل أن أستمتع بالراحة بين الأهل والأصدقاء متوج الرأس مديراً للأكواب العميقة مستمعاً لنغمات المزمار ناعما بلذات الحب فى هدوء الليـل . . لقد حرمت على لذاته ، وقضى علىّ أن أظل على هذا النحو مستلقياً يبل شعرى هذا الندى الغزير فى أرض طروادة .

لقد كان أياس منـذ حين سوراً يقوم من دونى لا تخيفه أهوال الليل ولا سهام العدو . فأما الآن فقد صرعه قضاء عنيف . فأى لذة ، أى لذة تحتفظ بها لى الأيام ؟ ليتنى كنت فى ذلك

الوطن هناك حيث يتقدم فى البحر رأس تكلله الغابات وتلطمه الأمواج فى آخر سونيوم أحى تلك المدينة المقدسة مدينة أثينا .

[يدخل تكروس ويتبعه أجامنون]

تكروس — لقد أسرعت الخطو حين رأيت زعيم الجيش أجامنون يعدو إلى هذا المكان . ما أشك فى أنه يتميز من الغيظ وسيتفجر كلاما مشؤوما .

أجامنون — أنت إذن حسب ما أنبئت الذى يجرأ فى غير خوف على أن يقىء إهانة خطرة توجه إلينا . أنت ابن الأمة ؟ لو أنك انحدرت من أم حرة كريمة فماذا عسى كنت تقول من لفظ تملؤه الكبرياء ، وكيف كنت ترفع رأسك فى السماء مادمت برغم أنك لست شيئا تستطيع أن تجاهد فى سبيل من مات ، وتقسم أنى حين وصلت إلى هذه الأرض لم أكن قائداً ولا زعيما لليونان ولا لك فى البر ولا فى البحر . بل زعمت أن أياس كان سيد نفسه حين وجه سفنه إلى هذا الساحل . أليس استماع هذا من أفواه العبيد ، هو الإهانة التى لا إهانة بعدها ؟ فى سبيل أى شخص تملأ آذاننا بهذا الصياح الوقح ؟ إلى أى مكان ذهب ؟

ألم يقف حيث وقفت ؟ أليس بين اليونان شجاع غيره ؟ لقد كانت مسابقة نكبة تلك التي أعلناها بين اليونان على سلاح أخيل ، إذا كانت نتيجتها أن يتهمنا تكروس بالجور فى كل مكان وألا يعجبك برغم ما أصابك من الخذلان ألا تذعن لحكم القضاة بل تتهمنا دائمـا وتلقى فى وجوهنا الإهانة وتسئ القالة فينا رغم هزيمتك . مع أخلاق كهذه لا يمكن أن تسود القوانين ولا أن تستقر إذا كنا ملزمين أن ننحى الظافرين بالحق ونقدم عليهم فى أول الصف من قضى بأن يتأخروا . يجب أن تحظر هذه السيرة ، إن الرجل لا يتقـدم بضخامة جسمه ولا ببعد ما بين منكبيه ، وإنما يتقدم بالعقل والذكاء . إن السوط مهما يكن رقيقا نحيفاً يكره الثور الضخم على أن يمضى فى طريقه مستقيما لا ينحرف عنها . وهذا هو الدواء الذى أراه معلقاً على رأسك إذ لم يثب إليك شيء من الرشد ، ما دمت تجرؤ بعد أن ذهب أياس وأصبح ظلا على أن تهيننا وتواجهنا بهذه الألفاظ الوقحة . ألا تجنح إلى الاعتدال ؟ ألا تندب رجلا حرا يتحدث إلينا مكانك ، وقد علمت من أنت بحكم مولدك ؟ فإنك إذا مضيت فى الحديث

لم أفهم عنك شيئاً ، لأنى لا أفهم لغة الأجانب .

رئيس الجوقة — لعل كليكما يجنح إلى الاعتدال فهذا خير ما أستطيع أن أقدم إليكما من النصح .

تكروس — وا حسرتاه ، ما أسرع ما يجحد الناس صنيع الموتى ، وما أسرع ما يتهمونهم بالخيانة ما دام هذا الرجل لا يحتفظ لك يا أياس بشىء من الذكرى مهما يكن ضعيفاً . ومع ذلك فما أكثر ما عرضت حياتك للخطر ، واحتملت جهود الحرب من أجله . لقــد نسى كل ذلك واحتقر . وأنت الذى تحدث إلينا بكل هذا السخف ألا تذكر شيئاً ؟ أنسيت أنه ذات يوم أسرع وحيداً من بين الهاربين ، فرد عنك العدو وأنقذك وقد كنت محصوراً تفرق عنك النصير ؟ لقد كان اللهب يرتفع حول مقدمات السفن وعند مقاعد البحارة ، ولقد كان هكتور ينحط كالصاعقة نحو السفن بعد أن اقتحم الخنادق . من رد هـذا الهجوم ؟ ألم يكن أياس الذى تزعم أنه لم يتقدم قط إلى العدو بخطى ثابتــة ؟ ألم ترض عما فعل ذلك اليوم ؟ ألم ترض عنه كذلك يوم قضى عليه الاقتراع أن يبرز لهــكتور وحيداً

فلم يحتل كما يحتال الضعفاء للعبث بحكم الاقتراع وإنما دعاه وتعجله ؟ لقد كنت حاضراً ذلك اليوم أنا الرقيق ابن الأجنبية . بأى جراءة أيها الشقى تستطيع أن تنطق بهذه الكلمات ؟ أتجهل أن جدك لأبيك بيلوبس قد كان أجنبياً فريجياً ؟ وأن أتريوس الذى ولدك قد قدم إلى أخيه طعاماً بغيضاً لحم أبنائه ؟ وأنت لقد ولدتك امرأة من جزيرة أقريطش — كريت — أراد أبوها أن يهلكها غرقاً لأنه أخذها وهى تأثم مع أجنبي . تستطيع وهذا أصلك أن تهيننى ؟ إن أبى تليمون الذى تفوق على الجيش كله ، وظفر بالجائزة فأصبحت أمى له قريناً . وكانت أمى ملكة . كانت بنت لوميدون أهداها إليه هرقل ابن ألكمن . أيمكن لرجل شريف قد انحدر من أبوين شريفين أن يهين دمه ؟ أيمكن أن أدعك تحرم أخى فى محنته شرف القبر ، دون أن تخجل من الاعتراف بذلك ؟ تعلم أنك إن ألقيت هذه الجثة بالعراء فى أى مكان فسنلقى معها جثثنا نحن الثلاثة[1] فقد يشرفنى أن أموت مجاهداً فى سبيله أمام

---

(١) يشير إلى نفسه وإلى تكمسا زوج أخيه وإلى أوريساسيس ابن أخيه .

الناس جميعاً . ذلك أشرف لى من أن أموت فى سبيل امرأتك أو امرأة أخيك[1] و بعد هـذا كله فـكر فى نفسك لا فى فإنك إن أهنتنى تمنيت ذات يوم لو أنك كنت ضعيفاً ، وأنك لم تستطع أن تسوءنى .

وفى أثناء هذا الحديث يدخل [أودسيوس]

رئيس الجوقة — أيها الملك أودسيوس تعلم أنك جئت فى وقت الحاجة إليك ، إن كنت قد أقبلت لا لتعقد الأشياء ، بل لتصلحها .

أودسيوس — ماذا أيها الأصدقاء ! لقد سمعت من بعيد صيحة الأتريين عند جثة هذا البطل ؟

أجامنون — ألم تسمع الإهانة توجه إلينا أيها الملك أودسيوس من هذا الرجل .

أودسيوس — ماذا قال : إنى أعذر من وجهت إليه الإهانة إن أجاب بمثلها .

(١) يشير إلى أن اليونان إنما كانوا يحاربون فى طروادة من أجل هيلانة امرأة منيلاووس التى اختطفها ابن ملك طروادة .

أجامنون — لقد احتقرته كما احتقرنى أودسيوس — وماذا وجه إليك من الإهانة ؟ .

أجامنون — لقد أعلن إلى أنه لا يسمح بأن تحرم هـذه الجثة شرف القبر ، وأنه سيدفنها برغمى .

أودسيوس — أيستطيع الصديق أن يقول لك الحق ويحتفظ بصداقتك ؟

أجامنون — تحدث أنى إن أبيت عليك ذلك كنت أحمق فأنت أخلص أصدقائى بين اليونان .

أودسيوس — اسمع إذن . باسم الآلهة لا تقس على هذا الرجل ولا تلقه بالعراء فى غير قبر ، لا ينتصر عليك الغضب ولا يحملك على بغضه إلى هذا الحد الذى تطأ فيه العدل بقدميك . لقد كان أياس من أشد الناس عداوة لى منذ ظفرت دونه بسلاح أخيل ، ومع ذلك فمهما يكن رأيه فىّ وبغضه لى ، فلن أجيب على ذلك بإهانته حين أنكر أنه كان أشجعنا جميعاً ، نحن الذين أقبلوا لحرب طروادة لا أستثنى إلا أخيل . وإذن فإنك حين تهينه تأثم لأنك لا تهينه وحده ، وإنما تهين قوانين الآلهة . إذا

صرع بطل من الأبطال كان من الإجرام أن تسوءه ولو كان موضع بغضك وعدائك .

أجامنون — ماذا ! أأنت الذى يعينه على .

أودسيوس — لقد كنت أبغضه حين كنت أستطيع البغض

أجامنون — أليس من الحق عليك أن تهينه ميتا كما أفعل؟

أودسيوس — يا أتريوس لايغرنك ما لك عليه الآن من فضل غير مشرف .

أجامنون — ليس من اليسير على الملوك أن يتبعوا العدل دائماً .

أودسيوس — من اليسير عليهم أن يسمعوا لنصح الأصدقاء .

أجامنون — إن من حق الرعية المخلصة أن تطيع ذا السلطان .

أودسيوس — قف ، أليس من الحكمة أن تذعن لنصيحة الأصدقاء .

أجامنون — أتذكر حال هذا الذى تريد أن تكرمه الآن .

أودسيوس — لقد كان عدوى ، ولكنه كان كريماً .

أجامنون — ماذا تزعم ؟ أتزعم إجلال عدو قد مات .

أودسيوس — إن فضله لأشد قوة من بغضى .

أجامنون — لقد رأيت رجلا شديد الميل إلى أن يتغير رأيه .

أودسيوس — إن من الناس من هم أصدقاؤك اليوم وأعداؤك غداً .

أجامنون — أتود أن يكون لك مثل هؤلاء الأصدقاء .

أودسيوس — لا أريد أن يكون لى صديق لا يلين .

أجامنون — لتكونن سبباً فى أن ينظر إلينا اليونان نظرهم إلى الجبناء .

أودسيوس — كلا بل نظرهم إلى من يؤثر العدل .

أجامنون — إذا فأنت تريد أن أدع هذا الجسم يوارى .

أودسيوس — من غير شك ما دام يجب أن أهبط أنا إلى القبر .

أجامنون — كذلك لا يعمل الإنسان إلا ذاكراً منفعته .

أودسيوس — وأى منفعة يجب أن أذكر إذا لم أذكر منفعتى أولاً ؟

أجامنون — سيقولون إن مواراته أثر من آثارك لا من آثارى .

أودسيوس — لتنالن من الشرف بمقدار عملك .

أجامنون — إذاً ، فثق بأن ليس هناك مالا تستطيع أن تناله منى . ولكن أياس سيظل لى عدواً فى دار الموتى كما كان على الأرض . لك أن تفعل ما تريد .

[يخرج]

رئيس الجوقة — من لم يعترف بعد هذا يا أودسيوس بأنك رجل حكيم فهو أحمق .

أودسيوس — والآن أعلن إلى تكروس أنى على رغم ما كان قد أصبحت له صديقاً بعد أن كنت له عدواً . وأنى أود أن أعينه على دفن الميت ، وأن أحتمل معه المشقة فى ذلك ولا أهمل شيئاً مما يجب أن يؤدى إلى كرام الناس .

تكروس — ما أكرمك يا أودسيوس . إنك لخليق بالمدح

من جميع جوانبك ، ولقد كذبت سوء ظنى بك . لقد كنت أشد اليونان عداوة لأياس ، ثم ها أنت ذا وحدك تذود عنه . لم تتخذ حياتك سبيلا إلى إهانة هذا الميت ، كما فعل القائد المجنون وأخوه الذى أراد أن تترك جثته بالعراء ، وألا توارى فى التراب . ومن أجل هذا أضرع إلى أبى الآلهة وسيد السموات ، وإلى آلهة الانتقام والعدل الذين يعاقبون الناس على آثامهم فى أن يهلكوا على شر حال هذين الشقيين ، كما أرادا أن يهينا أبطال الحرب ، ومع ذلك فإنى أتردد يا ابن لايرتيس فى أن أخلى بينك وبين ما تريد من مشاركتنا فى دفن أياس لأنى أخاف أن أسوء الموتى . أعنا على غير ذلك ، وإذا أذنت بأن يعيننا بعض الجند على نقل الجثة لم أجد بذلك بأساً ، وعلىّ أنا مادون ذلك . أما أنت فثق بأنى أرى فيك بطلا نبيلا .

أودسيوس — لقد كنت أريد أن أعينك ، فأما إذ لم تجد فى معونتى خيراً فإنى أقرك على ما ترى وانصرف .

[يخرج]

تكروس — حسبنا ما ضاع من الوقت ، فأما أنتم فأسرعوا

فى حفر القبر ، وأما أنتم فأوقدوا النار وأسخنوا الماء الذى لابد منه للغسل المقدس ، وليمض بعضكم إلى حيث يحمل سلاح أياس الذى كان يحمله من وراء درقته ، أيها الصبى أقبل فى حنان إلى جثة أبيك ، وخذ بأحد جانبيها ، وأعنى ما استطعت على إقامتها فإن عروقها مازالت تنضح دما أسود ، ليسرع كل من يرى نفسه صديقا له ، ليسرع إلى أداء ماله من واجب عليه ، فقد كان كريماً شجاعا لم يعدله أحد فى الشجاعة ولا فى الكرم .

رئيس الجوقة — ما أكثر الأحداث التى تقع أمام أعين الناس ، ولكنهم لايستطيعون أن يتنبأوا بها قبل أن تكون .